﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص: 43 - 44]

❁ مُناسَبَةُ الآيتَيْنِ لِما قبلَهما:

بعدَ الشِّفاءِ منَ الأدواءِ، جاءَ مزيدُ العطاءِ، لتأكيدِ الرجاءِ لمنْ صدقَ اللهَ في الدُّعاءِ

لَمّا ذَكرَ النَّظْمُ الحكيمُ مِحْنَةَ أيّوبَ ﷺ الَّتي سيقتْ لِتُعَلِّمَ النّاسَ الصَّبْرَ على الشَّدائِدَ، وبعدَ أنْ أوْرَدَ ما فتَحَ اللّهُ تعالى له منْ بابِ الأمَلِ والرَّجاءِ والسَّلامَةِ من الدّاء، بقَولِه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: 42] ناسبَ أن يُعَقّبَ على ذَلِكَ بذِكْرِ مِنَنٍ أُخْرَى من مِنَنِ اللّهِ على أيّوبَ ﷺ، وهيَ العَطاءُ الجَزيلُ في الدُّنيا والآخرةِ بأنْ وهَبَ لَهُ أهْلَهَ، فأحياهُم لهُ بعدَ موتِهم، أو جَمَعَهُم لهُ بعد تَفَرُّقِهم، أو أعطاهُ أجْرَ صَبْرِه على فُقْدانِهم، وأعطاهُ مِثْلَهم في الدّنيا، ولَيْسَتْ هَذِهِ القَضيَّةُ ذاتَ أثَرٍ في الغَرَضِ الَّذي سيقَتْ لأجْلِهِ قِصَّةُ أيّوبَ مِنَ الأُسْوَةِ، وإنَّما ذُكِرَتْ هُنا تَكْمِلَةً لِمَظْهَرِ لُطْفِ اللّه بأيّوبَ جَزاءً عَلى صَبْرِهِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَوَهَبْنَا﴾: (وهب): وهَبْتُ لِزَيْدٍ مالًا أهَبُهُ لَهُ هِبَةً أعْطَيْتُهُ بِلا عِوَضٍ يَتَعَدَّى إلَى الأوَّلِ باللّامِ، ووَهْبًا بِفَتْحِ الهاءِ وسُكونِها ومَوْهِبًا ومَوْهِبَةً بِكَسْرِهِما ولا يَتَعَدَّى إلَى الأوَّلِ بِنَفْسِهِ فَلا يُقالُ وهَبْتُكَ مالًا، والفُقَهاءُ يَقولونَهُ وقَدْ يُجْعَلُ لَهُ وجْهٌ وهوَ أنْ يُضَمَّنَ (وَهَبَ) مَعْنَى (أعطى)[2]. وتَقولُ: وهَبْتُ الشَّيْءَ أهَبُهُ هِبَةً ومَوْهِبًا. ويُقالُ أوْهَبَ إلَيَّ مِنَ المالِ كَذا، أي ارْتَفَعَ. وأصْبَحَ فُلانٌ مُوْهَبًا لِكَذا، أيْ مُعَدًّا

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 273.
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: 2/ 673.

لَهُ[1]. ووَهَبَ اللّه لك الشَّيءَ، يَهَبُ هِبَةً. وتَواهَبَهُ النّاسُ بينهمُ، والموهوبُ: الوَلَد، ويَجوزُ أنْ يكونَ ما يوهبُ لَكَ[2]. والهِبةُ: العَطيَّةُ الخاليةُ عَنِ الأعْواضِ والأغْراضِ[3]، والمُرادُ بقولِه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾: جَمَعْناهُم عَلَيْه بَعدَ تَفَرُّقِهم، أوْ أحْيَيناهُم بعدَ مَوْتِهم[4]. أوْ أعْطَيْناه في الآخرةِ أجْرَ صَبْرِه على فَقْدِهم[5].

2) ﴿وَمِثْلَهُم﴾: (مثل): أصْلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُناظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وهَذا مِثْلُ هَذا، أيْ نَظيرُهُ، والمِثْلُ والمِثالُ في مَعْنًى واحِدٍ. وربَّما قالوا مَثيلٌ كَشَبيهٍ. والمَثَلُ: المِثْلُ أيْضًا، كَشَبَهٍ وشِبْهٍ. والمَثَلُ المَضْروبُ مَأْخوذٌ مِنْ هَذا، لِأنَّهُ يُذْكَرُ مورَّى بِهِ عَنْ مِثْلِه في المَعْنَى[6]. والمِثْلُ: كلمةُ تَسْويَةٍ، يُقالُ: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُه كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنًى[7]. والمِثْلُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى ثَلاثَةِ أوْجُهٍ: بِمَعْنَى الشَّبيهِ، وبِمَعْنَى نَفْسِ الشَّيْءِ وذاتِه، وزائِدَةٍ، والجَمْعُ أمْثالٌ، فمثال الأول: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: 47]، ومثال الثاني: قَوْله تَعالَى ﴿كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام: 122]، ومثال الثالث: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾ [البقرة: 137] أيْ بِما آمنتم به[8]، وهوَ أعمُّ الألفاظِ المَوْضوعَةِ للمُشابَهَةِ؛ لِهَذا لمّا أرادَ اللّهُ نَفْيَ التَّشْبيهَ مِنْ كُلِّ وجهٍ خَصَّهُ بالذِّكْرِ فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: 11][9]. واختُلف في المرادِ بِـ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ على أرْبَعَةِ أقْوالٍ: أحَدُها: أنَّ اللّه تعالى أحْيا لَهُ أهْلَهُ بِأعْيانِهم، وآتاهُ مِثْلَهم مَعَهم في الدُّنْيا. والثّاني: أنَّهم كانوا قَدْ غُيِّبوا عَنْهُ ولَمْ يَموتوا، فَآتاهُ إيّاهُم في الدُّنْيا ومِثْلَهم مَعَهم في الآخِرَةِ. والثّالِثُ: آتاهُ اللّهُ أُجورَ أهْلِهِ في الآخِرَةِ، وآتاهُ مِثْلَهم في الدُّنْيا. والرّابِعُ: آتاهُ أهْلَهُ ومِثْلَهم مَعَهم في الآخِرَةِ[10].

3) ﴿ضِغْثًا﴾: (ضغث) أصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلَى التِباسِ الشَّيْءِ بَعْضِهِ بِبَعْضٍ. يُقالُ لِلْحالِمِ:

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (وهب).
(2) الخليل، العين: (وهب).
(3) ابن منظور، لسان العرب: (وهب).
(4) الزُّحَيْلِيّ، التّفسير المنير: 23/ 205.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 16/ 365.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).
(7) الجَوْهَرِيّ، الصّحاح: (مثل).
(8) الفيّوميّ، المصباح المنير: 2/ 563.
(9) الرّاغب، المفردات، والفيروزآباديّ، بصائر ذوي التّمييز: (مثل).
(10) ابن الجوزيّ، زاد المسير: 3/ 207.

أضْغَثْتَ الرُّؤْيا. والأضْغاثُ: الأحْلامُ المُلْتَبِسَةُ. وضَغَثْتُ الشَّيْءَ ضَغْثًا مِنْ بابِ (نَفَعَ) جَمَعْتُهُ، ومِنْهُ الضِّغْثُ، وهوَ قَبْضَةُ حَشيشٍ مُخْتَلِطٌ رَطْبُها بيابِسِها[1]. وقالَ الخَليلُ: هو أصْلٌ واحِدٌ[2]. وقولُه تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ كانَ أيّوبُ ﷺ قَدْ حَلَفَ أنْ يَضْرِبَ امرأتَهُ مِئَةَ ضَرْبَةٍ، لِسَبَبٍ ما، وكانَتْ مُحْسِنَةً لَهُ، فَجَعَلَ لَهُ سُبْحانَه خَلاصًا مِنْ يَمينِه بأهْونِ شَيءٍ عليْه وعلَيْها، والمرادُ أنْ يأخذَ حُزمةً منْ أعوادٍ دقيقةٍ ويَضْرِبُها بها بحيثُ يبلغُ عددُ الأعوادِ الَّتي ضُرِبَتْ بِها مئةَ عودٍ[3].

4) ﴿تَحْنَثْ﴾: حَنِثَ في يَمينِه يَحْنَثُ حِنْثًا إذا لَمْ يَفِ بِموجِبِها فَهوَ حانِثٌ[4]، و(حنث) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ الإثْمُ والحَرَجُ. يُقالُ: حَنِثَ فُلانٌ في كَذا، أيْ أثِمَ. ومِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: بَلَغَ الغُلامُ الحِنْثَ، أيْ بَلَغَ مَبْلَغًا جَرَى عَلَيْهِ القَلَمُ بِالطّاعَةِ والمَعْصِيَةِ، وأُثْبِتَتْ عَلَيْهِ ذُنوبُهُ. ومِنْ ذَلِكَ الحِنْثُ في اليَمينِ، وهوَ الخُلْفُ فيه. فَهَذا وجْهُ الإثْمِ. ومِنْ ذَلِكَ التَّحَنُّثُ وهوَ التَّعَبُّدُ. ومِنْهُ الحَديثُ: «أنَّ رَسولَ اللّه ﷺ كانَ يَأْتي غارَ حِراءٍ فَيَتَحَنَّثُ فيهِ اللَّيالِيَ ذَواتِ العَدَدِ»[5]. والمَعْنَى المحْوَرِيُّ ثِقَلُ الشَّيْءِ ثِقَلًا بالِغًا، ولا يَكونُ ذَلِكَ إلّا بِسَبَبِ احْتِوائِهِ عَلَى غَليظٍ جَسيمٍ جافٍ ثَقيلٍ. ومن ذلك: حَنِثَ في يمينه: لم يَبَرَّ فيه، أي: حَلَفَ على كَذِبٍ، فالحِنْثُ الخُلْفُ في اليَمينِ ونَقْضُها والنَّكْثُ فيها، ومآلُ كُلِّ ذَلِكَ إلى الخُلْفِ. والخُلْف تخلّفٌ وثِقَلٌ عنِ الأداءِ، ومِنْهُ قولُه تعالى: ﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾[6]. والمرادُ: ولا تَأْثَمْ بِتَرْكِ ما حَلَفْتَ عَلى فِعْلِه[7].

5) ﴿أَوَّابٌ﴾ (ءوب) أصْلٌ واحِدٌ، وهوَ الرُّجوعُ[8] إلى المُسْتَقَرِّ[9]. وآبَ فُلانٌ إلَى سَيْفِه، أيْ: رَدَّ يَدَهُ ليَسْتَلَّهُ. وآبَ الغائِبُ يَؤوبُ أوبًا، أيْ: رَجَعَ[10]. والأوّابُ: كَثيرُ الرُّجوعِ إلَى اللّه

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: 2/ 362، والفيروزآباديّ، القاموس المحيط: (ضغث).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (ضغث).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ضغث).
(4) الفيّوميّ، المصباح المنير: 1/ 154.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حنث)، والحديث رواه البخاريّ في صحيحه، كتاب بَدْءِ الوَحْي، حديث رقم: (3).
(6) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (حنث).
(7) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 393.
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أوب).
(9) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (أوب).
(10) الخليل، كتاب العين: (أوب).

ﷺ، مِنَ ذنبه. والأوْبَةُ: الرُّجوع، كالتَّوْبةِ. وآبَ مِنْ سَفَرِهِ يَؤوبُ أوْبًا ومَآبًا (رَجَعَ)، والإيابُ اسْمٌ مِنْهُ فَهوَ آئِبٌ، وآبَ إلى اللّهِ تَعالَى رَجَعَ عَنْ ذَنْبِهِ، وتابَ فَهوَ أوّابٌ مُبالَغَةً. وآبَتْ الشَّمْسُ رَجَعَتْ مِنْ مَشْرِقِها فَغَرَبَتْ والتَّأْويبُ سَيْرُ اللَّيْلِ وجاءوا مِنْ كُلِّ أوْبٍ مَعْناهُ مِنْ كُلِّ مَرْجِعٍ أيْ مِنْ كُلِّ فَجٍّ[1]. والمرادُ بالأوّابِ هُنا: الراجعُ إلى اللّهِ تعالى بتركِ المَعاصي وفِعْلِ الطّاعاتِ[2]، إذْ هوَ الأليقُ بِالسّياقِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

العَطاءُ الجزيلُ، والنعيمُ الوافرُ المقيمُ، جزاءٌ لمنْ صبَرَ على ابتلاءِ اللهِ تعالى

بَعْدَ أنْ اكتملتْ لأيّوبَ ﷺ العافيةُ؛ مَنَّ اللّهُ عليْهِ بأنْ وهَبَ لَهُ ما كان قَدْ تَفَرَّقَ عنْهُ منْ ولَدِه، وبارَكَ لَه فيهم فَضاعَفَهُم لَهُ، أو احتسبَ لَهُ أجرَ الصابرينَ، ورزَقَهُ مِثْلَهُم، وأعْطاهُ كَثيرَ المالِ وجَليلَ الخَيْرِ، وكُلُّ ذَلكَ كانَ مِنْ رحمةِ اللّهِ وفَضْلِه عليْهِ إذْ سَلَّطَ اللّهُ عليْهِ البَلاءَ فَصَبَرَ، ثُمَّ أزالَ عَنْهُ ما نَزَلَ بِهِ ووَصَلَهُ بِالآلاءِ والنَّعْماءِ، وذَلِكَ تَنْبيهًا لِذَوي العُقولِ الرَّشيدَةِ والبَصائِرِ النّافِذَةِ والقُلوبِ السَّليمَةِ علَى أنَّ مَنْ صَبَرَ ظَفَرَ ونالَ الجَزاءَ الحَسَنَ[3].

ثُمَّ زادَه سبحانه لصيانَةِ دينِ أيّوبَ ﷺ ومقامِ نُبوَّتِه فجَعَلَ لهُ من قَسَمِه مَخْرَجًا، إذْ لا يَنْبَغي لِهذا العبدِ الصابرِ والنَّبيِّ المُحْتَسِبِ أنْ يَحْنَثَ في قَسَمِ أقْسَمَه لذاتِ اللّهِ سُبْحانَه، وخَتَمَ قِصَّتَه بمَكْمَنِ العبرَةِ فيها وهوَ الصَّبْرُ على بلاءِ اللّهِ سبحانَه.

فَيكونُ بِذَلِكَ قدْ وفَّى بِقَسَمِه ولمْ يؤْذِ زوجَهُ الوَفيَّةَ لَه في مَرَضِه، ثُمَّ عَقَّبَ النَّظْمُ الحكيمُ مادِحًا أيّوبَ ﷺ بالصَّبْرِ والاحتسابِ وحبسِ نفسِه علَى إرادَةِ رَبِّه، فَلَمْ يَسْتَطِعِ الشَّيْطانُ أنْ يُزَعْزِعَ ثِقَتَهُ بِرَبِّه أوْ أنْ يُقَلِّلَ مِنِ اعتمادِه عليْهِ سُبْحانَه، فقدْ صَبَرَ على البَلاءِ؛ فَنِعْمَ

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: 1/ 28.
(2) الرّاغب، المفردات: (أوب).
(3) نخبة من المفسّرين، التّفسير الوسيط: 8/ 506.

العبدُ أيّوبُ، إنَّهُ رَجّاعٌ إلَى اللّهِ بالتَّوْبَةِ والاسْتِغْفارِ، زيادَةً في حَسَناتِه ورَفْعِ دَرَجاتِه، لا بِسَبَبِ ذَنْبٍ جَناهُ، فَجازَيْناهُ بِتَفْريجِ كُرْبَتِه، مَعَ أنَّهُ لَيسَ في الشَّكْوَى إلَى اللّهِ إخْلالٌ بالصَّبْرِ، ولَكِنَّ إيمانَ الأنْبياءِ المُطْلَقَ التّامَ هو الَّذي يُعَرِّفُهُم أنَّ اللّهَ عَليمٌ بِهِم، وقَدْ لا يَطْلُبونَ منَ اللّهِ شَيْئًا لإذْهابِ هَمِّهِم وغَمِّهِم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نَوْعُ الواوِ ودَلالَتُها:

عَطَفَ النَّظْمُ الحكيمُ قَوْلَ اللّهِ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ على قولِه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾ [ص: 42]؛ لتَصِلَ بينَ أجزاءِ قِصَّةِ أيّوبَ عليه السلام، أو عاطِفَةً بين الإنشاءِ في قولِه: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ﴾ [ص: 42] والخبرِ في قولِه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ إذْ لَمّا كانَ التَّقْديرُ: (فَفَعَلَ؛ اغْتَسَلَ؛ فَبَرَأ ظاهِرُهُ؛ وسُرَّ باطِنُهُ)؛ عَطَفَ عَلَيْهِ[2]، "عَلى مُقَدَّرٍ مُتَرَتِّبٍ عَلى مُقَدَّرٍ آخَرَ يَقْتَضيهِ القَوْلُ المُقَدَّرُ آنِفًا، كَأنَّهُ قيلَ: فاغْتَسَلَ، وشَرِبَ فَكَشَفْنا بِذَلِكَ ما بِهِ مِن ضُرٍّ كَما في سورَةِ الأنْبياءِ"[3].

تَعَدُّدُ المِنَنِ يَقْتَضي العَطْفَ إظْهارًا لفضلِ اللهِ ورَحْمَتِه

فلمّا ذكرَ أنَّه مَنَّ عليْه بالشِّفاءِ ظاهِرًا وباطِنًا، عطفَ عليه، بإبداءِ نِعْمَةٍ أُخرى، وهيَ المَنُّ عليه بهِبَةِ أهلِه الذّاهبينَ أو المُتَفَرِّقينَ عنه، ولَعَلَّ الإنعامَ بإعادةِ أهْلِه أكبرُ من التَّكَرُّمِ بهبَتِهم ابتداءً، لِما فيهِ منْ تَسْكينِ لواعِجِ الفقدِ عليهم.

بَلاغَةُ الكنايةِ في اخْتيارِ مُفْرَدَةِ الهِبَةِ:

آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التعبيرَ بالفعلِ (وَهَبْنا) لِما فيه من معْنَى الإعْطاءِ بلا عِوَضٍ، إذِ المَعْنَى هو إعطاء أيّوبَ عليه السلام أهلَه ومثلَهم معه

الإخبارُ بالهِبَةِ عنِ الأهْلِ كِنايَةٌ عنْ مَحْضِ التَّفَضُّلِ

(1) وُهْبَةُ الزُّحَيْليّ، التّفسير المنير: 23/ 209.
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 391.
(3) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 229.

بلا مُقابِلٍ، والهِبةُ: العَطيَّةُ الخاليةُ عَنِ الأعْواضِ والأغْراضِ[1]، ولمّا كان صبرُه على البلاءِ مَظِنَّةَ العِوَضِ، بيَّنَ هذا اللفظُ أنَّ ما كان لَه إنّما هو فضلٌ من اللّه ورحمة، فقول اللّهِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ كنايةٌ عنِ التَّفَضُّلِ بإعادَةِ الأهلِ لأيّوبَ لأنَّ إيتاءَه أهلَه كانَ بعدَ موتِهم أو تَفَرُّقِهم عنهُ، فَهو مَحْضُ تَفَضُّلٍ، فَفي التَّعبيرِ بالهِبَةِ كِنايَةٌ عنِ التَّفَضُّلِ والتَّيْسيرِ، بإحداثِ تلكَ المُعْجِزَةِ الَّتي لا يستطيعُها سواهُ سُبحانَه.

تضمينُ الفعلِ (وَهَبْنا) مَعنَى (أبْقَيْنا):

الـــزّيـــادة في الإنـعـام معنًى يَعْضُدُه السّياق

وللطّاهر بنِ عاشورٍ رأيٌ جديرٌ بالالتفاتِ إليْهِ في معنَى الفعلِ (وَهَبْنا)، فقدْ ضَمَّنَهُ معنى الإبقاءِ، فقال: "ولَمْ يَتَقَدَّمْ في هَذِهِ الآيَةِ، ولا في آيَةِ سورَةِ الأنْبياءِ، أنَّ أيّوبَ ﷺ رُزِئَ أهلَهُ، فَيَجوزُ أنْ يَكونَ مَعْنى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ أنَّ اللّه أبْقى لَهُ أهْلَهُ، فَلَمْ يُصَبْ فيهِمْ بِما يَكْرَهُ وزادَهُ بَنينَ وحَفَدَةً. ويَكونُ فِعْلُ (وهَبْنا) مُسْتَعْمَلًا في حَقيقَتِهِ ومَجازِهِ. ويُؤَيِّدُ هَذا المَحْمَلَ وُقوعُ كَلِمَةِ ﴿مَّعَهُمْ﴾ عَقِبَ كَلِمَةِ ﴿وَمِثْلَهُم﴾ فَإنَّ مَعَ تُشْعِرُ بِأنَّ المَوْهوبَ لاحِقٌ بِأهْلِهِ ومَزيدٌ فيهِمْ. فَلَيْسَ في الآيَةِ تَقْديرُ مُضافٍ في قَوْلِهِ: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾، ولَيْسَ في الأخْبارِ الصَّحيحَةِ ما يُخالِفُ هَذا، إلّا أقْوالًا عَنِ المُفَسِّرينَ ناشِئَةً عَنْ أفْهامٍ مُخْتَلِفَةٍ. ويُحْتَمَلُ أنْ يَكونَ مِمّا أصابَهُ أنَّهُ هَلَكَ وأوْلادُهُ في مُدَّةِ ضُرِّهِ كَما جاءَ في كِتابِ أيّوبَ مِن كُتُبِ اليَهودِ وأقْوالِ بَعْضِ السَّلَفِ مِنَ المُفَسِّرينَ، فَيَتَعَيَّنُ تَقْديرُ مُضافٍ، أيْ: (وهَبْنا لَهُ عِوَضَ أهْلِهِ). وألْفاظُ الآيَةِ تَنْبو عَنْ هَذا الوَجْهِ الثّاني[2].

نُكْتَةُ إسْنادِ فِعْلِ (وَهَبْنا) إلَى ضَميرِ العَظَمَةِ:

تعظيمُ الواهبِ دليلٌ على عِظَمِ الهِبَةِ ونفاسَتِها عندَ الموهوبِ له

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾، أسْنَدَ البيانُ القُرآنيُّ الفِعْلَ (وَهَبْنا) إلى ضَميرِ التَّعْظيمِ، صارِفًا القَوْلَ

(1) ابن منظور، لسان العرب: (وهب).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 271.

إلى مَظْهَرِ الجَلالِ؛ تَنْبيهًا عَلى عَظَمَةِ الفِعْلِ، أيْ: بِما لَنا مِنَ العَظَمَةِ[1]. وذَلِكَ لأنَّ تَعْظيمَ الواهِبِ دليلٌ على عِظَمِ الهِبَةِ ونَفاسَتِها عندَ المَوْهوبِ لَه، فقدْ مَنَّ اللّهُ سُبحانَه على أيّوبَ ﷺ بأنْ جَمعَ شَمْلَهُ بِمَنْ تَفَرَّقَ منْ أهْلِه، أوْ أحياهُم لهُ بعدَ مماتِهم، وسواءٌ أكانَ الأمرُ جَمعًا أم إحياءً فإنَّها نِعْمَةٌ عَظيمَةُ القدرِ جليلةُ الأثَرِ، فكانَ من بلاغَةِ النَّظْمِ الحكيمِ إسْنادُها إلى فاعِلِها وهوَ اللّهُ سُبْحانَه، بنونِ العَظَمَةِ إشْعارًا بأهَمِّيَتِها وجليلِ خَطَرِها.

نوعُ اللّامِ ومَعْناها:

دلالـــة عـلى اخْتِصاصِ أيّوبَ ﷺ بِنِعْمَةِ هِبَةِ الأهْلِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾، عَدَّى البَيانُ القُرآنيُّ الفِعْلَ (وَهَب) باللّام، إذ الأصْلُ أنْ يَتَعَدَّى إلَى الأوَّلِ باللّام. كما في: وهَبْتُ لِزَيْدٍ مالًا، ولا يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ فَلا يُقالُ: وهَبْتُكَ مالًا، والفُقَهاءُ يَقولونَهُ[2]. وعلى كلّ حال فإنّ اللّامَ جاءت هُنا بمعنى التَّمْليكِ والتَّخْصيصِ[3]، للدّلالَةِ على اختصاصِ أيّوبَ ﷺ بهذِهِ الهِبَةِ، الَّتي جاءتْ محضَ رحمةٍ من اللّه تعالى، وتخفيفًا عمّا أصابَه في سبيلِ اللّهِ، وعن احتسابِه صبرَه مَرْضاةً لِرَبِّه تعالى.

غَرَضُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ علَى المَفْعولِ:

الاهـتِـمـامُ بـالـمَـوْهـوبِ لَـهُ يَقتَضي تقديمَه لِمَزيدِ العنايَةِ بِه

قَدَّمَ النَّظْمُ الحكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾، الجارَّ والمَجْرورَ ﴿لَهُۥٓ﴾ على المفعولِ به ﴿أَهْلَهُۥ﴾، وتقديرُ الكلامِ: (وَوَهَبْنا أهْلَهُ لَه)، وقدْ عَدَلَ البيانُ القُرآنيُّ عنْ هذا التَّقْديرِ اهْتِمامًا بالمَوهوبِ لهُ، إذِ السّياقُ سياقُ إنْعامٍ وتَفَضُّلٍ وإحسانٍ، فكانَ في التَّقْديمِ هَهُنا بيانٌ لمَزيدِ العِنايَةِ بأيّوبَ ﷺ.

بَلاغَةُ اخْتيارِ لَفْظِ الأهْلِ:

عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ عنْ إحسانِ اللّهِ إلى أيّوبَ ﷺ بهِبَةِ أوْلادِه لَهُ

(1) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 391.
(2) الفَيّوميّ، المصباح المنير: (وهب).
(3) الزّجاجيّ، كتاب اللّامات، ص: 62.

بقوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾، فَعَبَّرَ بلفظ (الأهل) دونَ غَيْرِه، وذَلِكَ لأنَّ أهْلَ الرَّجُلِ مَنْ يَجْمَعُه وإيّاهُم نَسَبٌ أوْ دينٌ، أو ما يَجْري مَجْراهُما، وأهْلُ الرَّجُلِ في الأصْلِ مَنْ يَجْمَعُهُ وإيّاهُم مَسْكَنٌ واحِدٌ، ثُمَّ تُجُوِّزَ بِهِ فقيل أهل الرجل لِمَنْ يَجْمَعُه وإيّاهُم نَسَبٌ[1]، وكذلك فإنَّ أهْلَ الرَّجُلِ أخَصُّ النّاسِ بِهِ[2]، وقدْ عَبَّرَ النَّظْمُ بلفْظِ الأهلِ للدلالةِ على الامتنانِ على أيّوبَ باجتماعِ شَمْلِه بأحبّائِه ومنْ يَلْزَمُهُ أمْرُهم، ويلْزَمُهُم أمْرُه.

أهْلُ الرَّجُلِ أخَصُّ النّاسِ بِهِ وألْصَقُهم بِنَفْسِه

دَلالَةُ إضافَةِ لَفْظِ (أهْلِ) إلَى الضَّميرِ:

أضافَ النَّظْمُ الحكيمُ لفظ (الأهلِ) في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ إلى ضميرِ الغائِبِ العائدِ على أيّوب عليه السلام، للدّلالَةِ على اخْتِصاصِهِم بِه[3]، وقُرْبِهِم مِنْه، وللإشارَةِ إلى ما بَلَغَ به منَ الشَّوْقِ لِلِقائِهم، وتَلَهُّفِه على الأُنْسِ والاجتماعِ بِهِم. وفي ذلكَ نِعْمَةٌ عُظْمى ومِنَّةٌ كُبْرى.

نعمةُ الأهلِ والوَلَدِ مِنَ النِّعَمِ الجسيمَةِ والعطايا الجزيلةِ

دلالَةُ واوِ العَطْفِ:

جاءتِ الواوُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ عاطِفَةً، فعَطَفَتْ هذه العبارَة على قولِ اللّه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾، أي: ووهبنا له مع أهلِه مثلَهم؛ لذا يصح في إعراب الواو أيضًا أن تكون للمعيّة[4]، وعلى كلٍّ دَلَّتْ على مَزيدِ منَ النِّعَمِ الَّتي أنْعَمَ اللّهُ بها على عبْدِه أيّوبَ عليه السلام، فَلَمْ يَقْتَصِرِ العَطاءُ على جَمْعِ أهلِه أو إحيائِهم أو إبْقائِهم لَه - على اختلاف المفسِّرين -[5]، بلَ زادَه اللّهُ منْ فَضْلِه فَوَهبَ لَه مِثْلَهم.

اجتماعُ النِّعَمِ وكثرة بركتها من آثارِ الصَّبْرِ على المكارِهِ

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: (وهب).
(2) الفيّوميّ، المصباح المنير: (وهب).
(3) ابن عقيل، شرح ألفية ابن مالك: 3/ 46.
(4) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 6/ 351.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 506.

مَعْنَى لَفْظِ المِثْليَّة:

المُماثَلةُ في العددِ والمشابَهةُ في الصِّفات

مَعْنى (مِثْلَهم): مُماثِلُهم. والمُرادُ: مُماثِلُ عَدَدِهم، أيْ: ضِعْفَ عَدَدِ أهْلِهِ مِن بَنينَ وحَفَدَةٍ[1]. والمماثلةُ لا تكون إلّا بين المتّفقَين، فإذا قيل: هو مثله في كذا فهو مساوٍ له في جهة دون جهة، وإذا قيل: هو مثله على الإطلاق فمعناه أنه يسدّ مسدّه[2]. وجاء اللّفظ جَمْعًا اعْتِبارًا بالمَعْنى؛ لِأنَّهُ أفْخَمُ؛ وأقْرَبُ إلى فَهْمِ المُرادِ[3]. والحاصلُ منْ هذا كلِّه بيانُ نعمةِ اللّهِ تعالى على أيّوبَ ﷺ، وتبدُّلُ حالِه من الضُّرِّ والوَحْشَةِ إلى الصِّحَّةِ والأُنسِ بأحبابِه وذويه، وهُما من أجلِّ نِعمِ اللّهِ على خَلْقِه، ولهذا اللفظِ إيماءٌ إلى أنَّ الموهوبين له يُشابهون أهلَه، فدلَّ لفظُ المثلِ على المماثلةِ صراحةً، والمشابهةِ إيماءً.

دَلالَةُ اسْتِعْمالِ الظَّرفِ (مَعَ):

إلحاقُ النِّعمِ بالنِّعمِ من عاداتِ صاحِبِ المِنن

في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ استَعْمَلَ النَّظْمُ الحكيمُ الظَّرفَ (مَعَ) للدّلالَةِ على زيادَةِ الإنعامِ واجتماعِ الإحسانِ بأيّوبَ ﷺ، وقدْ آثر البيانُ القُرْآنيُّ هذا الظَّرْفَ لأنَّه اسمٌ لِمَكانِ الاجْتِماعِ أوْ وقْتِه، وهيَ كلمةٌ تُضيفُ الشَّيْءَ إلَى الشَّيْءِ، واسْمٌ مَعْناه الصُّحْبَةُ[4]، ويحتملُ أنْ يَكونَ مَعْنى (وَهَبْنا) أنَّ اللّهَ أبْقى لَهُ أهْلَهُ، ويُؤَيِّدُ هَذا المَحْمَلَ وُقوعُ كَلِمَةِ ﴿مَّعَهُمْ﴾ عَقِبَ كَلِمَةِ ﴿وَمِثْلَهُم﴾ فَإنَّ (مَعَ) تُشْعِرُ بِأنَّ المَوْهوبَ لاحِقٌ بِأهْلِهِ ومَزيدٌ فيهِم[5]، وكلّ ذلك لبيانِ فَضيلةِ الصَّبْرِ وحُسنِ الجزاءِ عَلَيْها من صاحبِ الفضلِ المحضِ؛ فإنَّ اجتماعَ الخيرِ عند العطاءِ فيه من جزالةِ الكرمِ، وقوَّةِ الهبةِ ما لا يكونُ وهو مفرَّقٌ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 396.
(2) جمعة، دلالة المثليّة في آيات التّحدّي: 6.
(3) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 391.
(4) السّامرّائيّ، معاني النّحو: 2/ 220.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 271.

أثرُ التّعليل في البَيانِ:

الرَّحمةُ عنوانُ القبولِ وسرمدُ القربِ

جاءتْ كَلِمَةُ ﴿رَحۡمَةَ﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحۡمَةَ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ منصوبَةً على أنَّها مفعولٌ لأجْلِه، تَعْليلًا من اللّهِ تعالى لفِعْلِهِ ذَلِكَ، أيْ: أنَّ الهِبَةَ كانَتْ لِرَحْمَةِ اللّه تعالى إيّاهُ[1]، لا لأمرٍ آخر، فالرَّحمةُ عنوانُ القبولِ وسرمدُ القربِ.

بلاغةُ اخْتيارِ لَفْظِ الرَّحْمَةِ دونَ الفَضْلِ:

عطاءُ الله رحمةٌ والتّفضّلُ من آثارها

عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ في قولِه تعالى: ﴿رَحۡمَةَ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ باستعمالِ مفردةِ الرَّحْمَةِ دونَ مفْرَدَةِ الفضْلِ، وذلكَ للدّلالَةِ على مدى ما بَلَغَه أيّوبُ عليه السلام من الضُّرِّ والاحتياجِ، ذلكَ أنَّ الرَّحمَةَ في الأصلِ الإنعامُ على المُحْتاجِ والرِّقَّةُ والعَطْفُ عليه، وأمّا الفَضْلُ فَهوَ الزّيادَةُ والخَيْرُ، والإفْضالُ الإحْسانُ[2]. وقدْ كانَ أيّوبُ عليه السلام في أشدِّ حالاتِ الاحتياجِ للإنعامِ والرَّأْفَةِ والتَّعَطُّفِ، ومن ثَمَّ كانَ التَّعبيرُ بالرَّحْمَةِ أبلغَ من التَّعبيرِ بالفضْلِ، إذْ كانَ قدْ بلغَ به من الضُّرِ ما بلغَه، كما أنَّ في ذِكْرِ الرَّحْمَةِ بيانٌ لعدمِ لُزومِ شيءٍ على اللّهِ، فهو يعطي من يشاءُ ويبتَلي من يشاءُ[3]، ومقتضى الرَّحمةِ الفضلُ، فبذكرِ الرَّحمةِ يُعلَم أنَّ العطاءَ فضلٌ من اللّه تعالى، وهذا إيجازُ قَصْر.

نُكْتَةُ ذِكْرِ ﴿مِّنَّا﴾:

أفادَ التَّعبيرُ بـ(من) إظْهارَ العِنايةِ السّابِغَةِ والرِّعايَةِ التّامَّةِ بأيّوبَ عليه السلام

جاءَ ذكرُ ﴿مِّنَّا﴾ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحۡمَةَ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، إذْ لا شَكَّ أنَّ الرَّحْمَةَ منَ اللّهِ تعالى وأنَّها منْ عَطائِه وحْدَه دونَ سواه، ولكِنَّ النَّظْمَ الحكيمَ نَصَّ على كونِ الرَّحْمَةِ مِنْهُ لبيانِ مزيدِ اختصاصِ أيّوبَ ومن معه عليهم السلام بالرَّحْمَةِ الإلَهيَّةِ، فثَمَّةَ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 163.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 195، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (رحم) و(فضل).
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 26/ 396.

فَرقٌ بينَ قولِه تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، وبينَ أن يُقال: (رَحْمَةً وذِكْرَى لِأولي الألْبابِ)، فأفادَتْ (منْ) إظْهارَ مبدأِ العِنايةِ السّابِغَةِ والرِّعايَةِ التّامَّةِ بأيّوبَ ﷺ جزاءً على حُسْنِ بلائِه وصَبْرِه. وجاءَ إدخالُها على نونِ العَظَمَةِ ليَخْلَعَ عليها مزيدًا من التَّفْخيمِ والتَّعْظيمِ، كما أنّ لفظ ﴿مِّنَّا﴾ جاء للدّلالة على أنّ هذه الرّحمةَ لم تخصَّه وحدَه بل شملتْ أولادَه ومَنْ معهم مِنْ مثلهم، فكانت رحمةً عامّةً، أمّا في سورة الأنبياء فقد قال تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الأنبياء: 84] فهذه الرّحمةُ خاصّةٌ بأيّوبَ[1].

دلالَةُ استعمال حَرْفِ (مِنْ):

ابتداء غاية صُدورِ الإنعامِ والإحسانِ والتَّفَضُّلِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ استعمل النَّظْمُ الحكيمُ حرفَ الجرِّ (مِنْ)، وذلِكَ لأنَّ الرّحمة في قوله: ﴿مِّنَّا﴾ عامّةٌ يشترك فيها عموم الخلق[2]، وهذا لتشمل أيّوبَ وذرّيَّته وأمثالَهُم ممّن معهم. و(مِنْ) هَهُنا دالَّةٌ على ابتداءِ الغاية[3]، فأشارتْ إلى أنَّ ابتداءَ نُزولِ الرَّحْمَةِ تمّ مِنَ عندِ اللّه تعالى وحده، فاعتنى النَّظْمُ بإبْرازِ أصْلِ وُصولِ الرَّحْمَةِ إلى أيّوبَ لأنَّ السياقَ سياقُ بيانٍ للإنعامِ والإحسانِ والتَّفَضُّلِ عليه.

فائِدَةُ عَطْفِ الذِّكْرَى عَلَى الرَّحْمَةِ:

قصص القرآن للتّوعية لا للتّسلية

في مقامِ الامتِنانِ والإنعامِ على أيّوبَ ﷺ عَطَفَ النَّظْمُ الحكيمُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحۡمَةً مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ الذِّكْرى على الرَّحْمَةِ تَذْكيرًا للمُؤمنينَ بِذَلِكَ ليَصْبِروا عَلى الشَّدائِدِ، كَما صَبَرَ، ويَلْجَؤوا إلى اللّه تعالى فيما يُصيبُهُم، كَما لَجَأَ، ليَفْعَلَ سُبْحانَهُ بِهِم، ما فَعَلَ بِهِ مِن حُسْنِ العاقِبَةِ[4]، فإنَّ الإخبارَ وقَصَّ القصص

(1) الهلال، تفسير القرآن الزّيّ: 23/ 280.
(2) السّامرّائيّ، على طريق التفسير البياني: 2/ 198 - 211.
(3) الزّركشيّ، البحر المحيط: 3/ 189.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 198.

في القرآن للتّوعية لا للتّسلية، ومنه أنّ من وراء نزولِ الرّحمةِ غايةً وهي الذِّكرى.

نكتة اختيارِ (ذِكْرَى):

الذِّكْرى جامعةٌ لمعنى التّذكُّرِ والاعتبارِ فهي جامعةٌ بين الغايةِ ووسيلتِها

في قولِ اللّه تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عَبَّرَ البيانُ القُرآنيُّ بـ(الذِّكْرى) دونَ (التَّذْكِرة)، وذلكَ لأنَّ الذِّكْرَى اسمٌ للتَّذَكُّرِ، وهوَ ضِدُّ النِّسْيانِ، فهو اسمُ مصدرٍ، قالَ الزَّجّاجُ: "ذِكْرَى مَصْدَرٌ فيهِ ألفُ التَّأْنيثِ، بِمَنْزِلَةِ دَعَوتُ دَعْوَى، وبِمَنْزِلَةِ رَجَعْتُهُ رُجْعَى، واتقَيْتُ تَقْوَى، إلّا أنَّه اسمٌ في مَوْضِعِ المَصْدَرِ"[1]. والذِّكْرَى والتَّذْكِرَةُ مادَّتُهُما اللَّفْظيَّةُ واحِدَةٌ، وأصْلُهَما المَعْنَويُّ واحِدٌ، فَهُما تَتَطابَقانِ في بَعْضِ مَعانيهما، فَتأْتيانِ بِمَعْنَى اقْتِباسِ الدَّرْسِ والعِبْرَةِ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر: 21]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: 19]. ولكنَّ (ذكرى) تُسْتَعملُ في مقامِ العِبْرَةِ والمَوعِظَةِ على نحوٍ أكثرَ من استعْمالِها في التَّذْكيرِ الَّذي هو ضِدُّ النِّسْيانِ، كما أنَّ استعمالَ أبنيةِ المصادِرِ المُنْتَهيَةِ بألف التأنيث أشَدُّ دلالةً على المُبالغةِ من غيرها، لِما فيها منَ الاتِّساعِ النّاشِئِ عن الألفِ المقصورةِ في آخرها، فدَلَّتْ على الدعوةِ إلى اسْتِفْراغِ كلِّ سَبَبٍ للتَّذْكيرِ والاتّعاظِ، بِما اشْتَمَلتْ عليه قِصَّةُ أيّوبَ من الإنعامِ والابتلاءِ كليهما، وعليه فقد جمعَ هذا اللّفظُ بين الأمرِ بالتَّذَكُّرِ والاعتبارِ به، وهذا من بليغِ الإيجازِ اللّفظيِّ الجامعِ بين المعنى وغايته.

نوعُ اللّامِ ومَعْناها:

اختصاصُ أولي الألبابِ بالذِّكْرَى لسدادِ عُقولِهم ورشادِ نفوسِهم

جاءَتِ اللّامُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ للدّلالةِ على الاختصاصِ، فقدِ اخْتُصَّ أولو الألبابِ بِتِلْكَ

(1) الزَّجّاج، معاني القرآن: 2/ 316.

الذِّكرى العَظيمَةِ المُؤَثِّرَةِ في النُّفوسِ؛ لأنَّ عُقولَهم قدْ فَهِمَتْها[1]، ولأنَّ نُفوسَهم قد وعَتْها، ذَلِكَ أنَّ قِصَّةَ أيّوبَ ﷺ حَرِيَّةٌ بأنْ تُذَكِّرَ كلَّ ذي فَهْمٍ وإنابَةٍ أنَّ اللّهَ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ.

بَلاغَةُ اخْتيارِ (أولي) دونَ (أصْحاب):

تَدُلُّ كلمةُ (أولي) على الاختصاصِ وشِدَّةِ الاتِّصافِ بالعقلِ والحكمةِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ عَدَلَ النَّظْمُ الحكيمُ عن استِعْمالِ كلمةِ (أصحابٍ) ونحْوِها، إلى استعْمالِ كلمةِ (أولي)، وذلكَ لأنَّ كلمةَ (أولي) جمْعٌ لا مُفْرَدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ، وهي تَلزمُ الإضافَةَ إلى اسْمٍ ظاهِرٍ[2]، ففيها منَ الاختصاصِ ما ليسَ في كَلِمَةِ (أصحابٍ) ونحوِها، فَهِيَ تَدُلُّ على شِدَّةِ الاختصاصِ بالمُضافِ إليه، فكانَ التَّعبيرُ بِها أشدَّ في الدلالَةِ على العقلِ والحكمةِ اللّازمينِ لاستخراجِ الحكمِ والعِبَرِ بأدنى إشارةٍ.

نُكْتَةُ إضافَةِ (أولي) إلَى ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

الألبابُ لها أصحابٌ ملاصقونَ لها ويُعرفون بها

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أضافَ النَّظْمُ الحكيمُ كلمةَ (أولي) إلَى ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ للدّلالةِ على شِدَّةِ المُلازَمَةِ بين المضاف الملازِم للإضافة (أولي) والمضاف إليه (الألباب) الدّالّ على اللبّ الّذي هو باطن العقل، الّذي من شأنه أن يلحظ الحقائق، وهو المنوّر بنور القدس، الصّافي عن قشور الأوهام والتّخيّلات، والخالص من الشّوائب سُمّي به لكونه خالصَ ما في الإنسان[3]، فخالصُ العقلِ لا ينْفَكُّ عنْ هؤلاءِ العُقلاءِ الحُكَماء، فَقُلوبُهم نَقيّةٌ، وأفْئِدَتُهم ذَكيَّةٌ، وعُقولُهم حادَّةٌ، لا تَغيبُ عنْهم إشارَةٌ تدعو للإيمانِ، ولا تَفوتُهم لَمْحَةٌ مَهْما دَقّتْ، فَهُم مُتَّسِمونَ بصفاءِ الألبابِ قلبًا وقالبًا، وفي الإضافةِ دلالةٌ على أنَّ هؤلاءِ يلتصقونَ بالألبابِ، ويُعرفون بها.

(1) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 211.
(2) ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك: 3/ 94.
(3) المناويّ، التوقيف: 287.

غرضُ جَمْعِ لفظِ ﴿ٱلْأَلْبَٰبِ﴾:

دِقَّـةُ الإعـجـازِ الصَّوْتيّ في نَظْمِ مفرداتِ القرآنِ وجُموعِه

استَعْمَلَ البيانُ القُرآنيُّ كلمةَ الألبابِ جَمعًا في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، على نَهْجِ القُرآنِ في استعمالِها، فلمَ يُذْكَرْ لها مُفْرَدٌ في القرآنِ الكريم، فجاءتْ جمعًا؛ "وذَلِكَ لأنَّ لَفْظَ الباءِ شَديدٌ مُجْتَمِعٌ، ولا يُفْضي إلَى هذِه الشِّدَّةِ إلّا مِنَ اللّامِ الشَّديدَةِ المُسْتَرْخِيةِ، فَلَمّا لمْ يَكُنْ ثَمَّ فَصْلٌ بينَ الحَرْفَينِ يَتَهَيَّأُ مَعَهُ هذا الانْتِقالُ عَلَى نِسبةٍ بينَ الرَّخاوَةِ والشِّدَّةِ؛ تُحَسِّنُ اللَّفْظَةَ مَهْما كانتْ حَركةُ الإعرابِ فيها؛ نَصْبًا أو رَفعًا، أو جَرًّا؛ فَأَسْقَطَها منْ نَظْمِه بَتَّةً، عَلى سَعَةِ ما بينَ أوَّلِه وآخرِه، ولَوْ حَسُنَتْ علَى وجْهٍ منْ تِلْكَ الوُجوهِ لَجاءَ بِها حَسَنَةً رائِعَةً، وهذا علَى أنَّ فيهِ لَفْظَةَ (الحُبِّ)، وهيَ في وزْنِها ونُطْقِها، ولَوْلا حُسنِ الائْتِلافِ بينَ الجيمِ والباءِ مِنْ هَذِه الشِّدَّةِ في الجيمِ المَضْمومَةِ ما أوردها في نَظْمِه الجليلِ"[1].

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

بـلاغـةُ واوِ الـعـطـفِ في اسـتـكـمـالِ أحداثِ القصّة

عَطَفَ النَّظْمُ الحكيمُ قوْلَه تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ إمّا علَى الآيةِ السّابِقَةِ، وهي قولُه تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وإمّا على الآيةِ التي قبل السابقة، وهيَ قولُه تعالى: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: 42][2]، فجاءَ الوصلُ بشأنِ قَسَمِه الَّذي أقْسَمَه على امْرأتِه، إذْ لَمّا أجْمَلَ العَذابَ الصّالِحَ لأَلَمِ الظّاهِرِ؛ وذَكَرَ المُخَلِّصَ منهُ؛ أتْبَعَهُ التَّنْبيهَ عَلى أعْظَمِه؛ وهو أَلَمُ الباطِنِ؛ بَلْ أبْطَنِ الباطِنِ؛ التَّعَلُّقُ بِالاعْتِقادِ فيما وسْوَسَ لِزَوْجِه ﷺ؛ بِما كادَ يُزِلُّها؛ فَحَلَفَ لَيَضْرِبَنَّها مِائَةً؛ لِئَلّا تَعودَ إلى شَيْءٍ مِن ذَلِكَ؛ فَيُزِلَّها عَنْ مَقامِها؛ كَما أزَلَّ غَيْرَها؛ فَأَرْشَدَهُ إلى المُخَلِّصِ مِن ذَلِكَ الحَلِفِ؛ عَلى أخَفِّ وجْهٍ؛ لِأنَّها كانَتْ صابِرَةً مُحْسِنَةً؛ فَشَكَرَ اللّهُ لَها

(1) الرّافعيّ، إعجاز القرآن، ص: 160.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 229.

ذَلِكَ؛ وجَعَلَ هَذا المُخَلِّصَ بَعْدَها سُنَّةً باقيَةً لِعِبادِهِ؛ تَعْظيمًا لِأجْرِها؛ وتَطْييبًا لِذِكْرِها؛ فَقالَ ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ﴾ عاطِفًا عَلى ﴿ٱرْكُضْ﴾ [ص: 42][1].

نُكْتَةُ حَذْفِ فِعْلِ القَوْلِ:

الحَثُّ على المُبادَرَةِ إلى إبرارِ القَسَمِ دونَ إبطاءٍ أو توانٍ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ حذَفَ النَّظْمُ الحكيمُ فِعلَ القولِ معَ الفعلِ (خُذْ) فَلَمْ يَقُلْ: (وقُلْنا لَهُ خُذْ بيَدِكَ) عَطْفًا علَى فِعْلِ (وهبنا)، فيكون من عطف الخبر على الخبر؛ لأنَّ العَطْفَ على الأوَّلِ أقْرَبُ لَفْظًا، وهَذا أنْسَبُ مَعْنًى، فَإنَّ الحاجَةَ إلى هَذا الأمْرِ لا تَمَسُّ إلّا بَعْدَ الصِّحَّةِ[2]. كما أنَّ حَذْفَ فعلِ القولِ يُشيرُ إلى الحَثِّ على المُبادَرَةِ إلى إبرارِ قَسَمِه دونَ إبطاءٍ أو توانٍ. فَهو مَقولٌ لِقَوْلٍ مَحْذوفٍ دَلَّتْ عَلَيْهِ صيغَةُ الكَلامِ، والتَّقْديرُ: وقُلْنا خُذْ بيَدِكَ ضِغْثًا فاضْرِبْ بِهِ ولا تَحْنَثْ، وهو قَوْلٌ غَيْرُ القَوْلِ المَحْذوفِ في قَوْلِهِ: ﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ [ص: 42] لِأنَّ ذَلِكَ اسْتِجابَةُ دَعْوَةٍ وهَذا إفْتاءٌ بِرُخْصَةٍ[3].

بَلاغَةُ اخْتيارِ لَفْظِ الأخْذِ:

الأخْذُ أعَمُّ من التَّناوُلِ، وفيهِ معنَى القوَّةِ والقَهْرِ والسُّرعة

آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التعبيرَ بِفعلِ الأخذِ دونَ فعلِ الإمساكِ أو التَّناوُلِ؛ وذَلِكَ لأنَّ الأخْذَ حَوْزُ الشَّيْءِ وتَحْصيلُه، وذَلِكَ تارَةً بِالتَّناوُلِ، وتارَةً بالقهرِ، فالأخْذُ أعَمُّ، ويَجوزُ أن يُقالَ إنَّ التَّناوُلَ يَقْتَضي أخذَ شَيْءٍ يُسْتَعْمَلُ في أمرٍ منَ الأُمورِ[4]، ويوحي هذا اللفظُ بأنَّ الأخذَ يجبُ أن يكونَ سريعَ التَّناول والمُكنة، دون تردُّدٍ أو تدقيقٍ في المأخوذِ، ولمّا كان المطلوبُ أخذُه ضِغثًا ناسب استعمال الأخذ، ولو قال: (وتناول ضغثًا) لأوهم ضغثًا له مواصفات معيّنة وهو غير مراد.

(1) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 392.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 7/ 229.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 273.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 139.

نَوْعُ الباء ودلالتها وفائِدَةُ ذِكْرِ اليد:

الاستعانة باليد، والاكتفاء بما تتسع له دون زيادة

جاءتِ الباءُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ للاستعانة، فكأنَّ اليد آلة الاستعانة لأيّوبَ ﷺ فلا تُفارِقُهُ إلّا بعدَ أنْ يَبَرَّ بِقَسَمِه، وهذا يَدُلُّ على شِدَّةِ التِّمَسُّكِ بالوفاءِ باليمين. وكانَ مُقْتَضَى الظّاهِرِ أن يأتيَ النَّظْمُ على مثلِ: (وخذ ضِغْثًا فاضْرِبْ به)، دون ذِكْرِ اليَدِ؛ ولكن في هذا اتساع في المأخوذ يتجاوز ما تحمله اليد، وهو غير مطلوب، لذا جاء التعبير القرآني ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ لفائدةٍ مقصودةٍ وهي أنَّ يكون الضِّغثُ المأخوذ بحجم اليد لا غير، ولأن الضِّغث مِلء كفّ اليد من حشيش، وما أشبهه[1]؛ فلا يأتي بعيدانٍ كبيرةِ الحجم لا تتسع في اليد، كما أن اليد أُفردت لدفع توهّم أنَّ المطلوبَ هو أخذُ ضغثٍ باليدين، وذلك لتأكيدِ قِلَّة المأخوذِ.

نُكْتَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ علَى المَفْعولِ:

تقديمُ الوسيلةِ على الغايةِ للمناسبةِ في أمرِ اليمينِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ قَدَّمَ النَّظْمُ الحكيمُ الجارَّ والمَجْرورَ ﴿بِيَدِكَ﴾ على المفعولِ به ﴿ضِغْثًا﴾، وذلك للاهتمام بهذا التّخصيص المحدَّدِ باليدِ الّتي تحمل وسيلةَ الإبرارِ بالقَسَمِ، فمن البلاغة أحيانًا تقديمُ الجارّ والمجرور على المفعولِ به للاهْتمام بالمقدَّم، والتَّشْويقِ إلى المؤَخَّر[2]، فهو من بابِ تقديمِ الوسيلةِ الموصلةِ لإبرارِ القسَمِ والاهتمام بها.

بَلاغَةُ اخْتيارِ مُفْرَدَةِ الضِّغْثِ:

المُبالَغةُ في التَّيْسيرِ على أيّوب ﷺ في الإبرارِ بَقَسَمِه والوفاءِ بِعهدِه

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ تَخَيَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ مُفْرَدَةَ الضِّغْثِ دون غيرِها، والمُرادُ بالضِّغْثِ: قَبْضَةٌ مِنْ قُضْبانٍ أوْ حَشيشٍ مُخْتَلطَةِ الرَّطْبِ باليابِس، فهيَ قُضْبانٌ غَضَّةٌ

(1) العينيّ، عُمدة القاري: 18/ 301.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/ 9.

كثيرةٌ مُمْتَدَّةٌ بَعْضُها مَعَ بعضٍ[1]، وفي اختلاطِ الحشيشِ الرَّطْبِ باليابسِ إشارةٌ إلى بالغِ الرِّفْقِ بهذهِ الزَّوْجَةِ الوَفيَّةِ المُخْلِصَةِ، والمَقْصودُ باستعمالِ الضِّغْثِ دونَ غيرِه كالحِزْمَةِ المبالَغَةُ في التَّيْسير على أيّوب ﷺ في الإبرارِ بَقَسَمِه، وكانَ أيّوب ﷺ قَدْ حَلَفَ أنْ يَضْرِبَ امرأتَهُ مِئَةَ ضَرْبَةٍ، لِسَبَبٍ ما، فَجَعَلَ لَهُ سُبْحانَه خَلاصًا مِنْ يمينِه بأهونِ شيءٍ عليْه وعلَيْها، والمرادُ أنْ يأخذَ حُزمةً منْ أعوادٍ دقيقةٍ ويَضْرِبُها بِها بحيثُ يبلغُ عددُ الأعوادِ الَّتي ضُرِبَتْ بِها مئةَ عودٍ، ولمّا كانَ لفظُ الضغثِ من الألفاظِ الغريبةِ ناسبَ اختيارُه لهذا الإبرارِ الفريدِ من نوعِه، فهي مناسبةٌ بين لفظٍ غريبٍ ومعنًى نادرٍ.

نَوْعُ الفاءِ ودَلالَتُها:

تصويرُ سرعةِ مشهدِ البرِّ بالقَسَم

جاءتِ الفاءُ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ عاطِفَةً، فأفادَتِ الترتيبَ والتَّعقيبَ[2] والسُّرْعَةَ والفَوريّة، فهي دليلٌ على الحثِّ على الإسراعِ إلى الإبرارِ بِقَسَمِه فورَ تعافيهِ من سُقْمِه، اعترافًا بِفَضْلِ اللّهِ عليهِ. وربما يُلْمَحُ فيها معنى السَّبَبيَّةِ، فإنَّ أخْذَ الضِّغْثِ سببٌ في الضَّرْبِ.

فائِدَةُ اسْتِعْمالِ لَفْظِ الضَّرْبِ دونَ الجَلْدِ:

الضَّربُ إيقاعُ الضِّغثِ لا إصابَةُ الجِلْدِ

آثَرَ البيانُ القرآنيُّ استعمالَ لَفْظِ الضَّرْبِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ﴾ دونَ لَفْظِ الجَلْدِ، لأنَّ مَعْنَى الجَلْدِ يَجوزُ أنْ يَكونَ بمعنى: (أصيبوا جِلْدَهُم بِالضَّرْبِ)، يُقالُ: جَلَدْتُهُ: أيْ: (أصَبْتُ جِلْدَهُ)، نَحْو: ظَهَرْتُهُ، وبَطَنْتُهُ، أي: (أصَبْتُ ظَهْرَهُ)، وقيل المرادُ: اضْرِبوهُم بِالجِلْدِ، نَحْو: عَصاهُ، أيْ: (ضَرَبَهُ بِالعَصا). وأمّا الضَّرْبُ فَهوَ إيقاعُ شيءٍ على شيءٍ[3]. ولمّا كانَ المُرادُ في الآيَةِ الكَريمَةِ مُجَرَّدَ إيقاعِ الضِّغْثِ على زوجَتِه، وليْسَ إصابَةَ الجِلْدِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ: (ضغث).
(2) الرّازي، مختار الصّحاح، ص: 233.
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عُمْدَةُ الحُفّاظ: (ضغث).

والبَشْرَةِ أوْ الضَّربَ على الجِلْدِ، كانَ التَّعْبيرُ بالضَّرْبِ أنسبَ من التَّعبيرِ بالجِلْدِ، وأوْفَقَ للمَعْنى.

غرضُ الأمرِ ودلالة الباء:

غرضُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ هوَ الإلزام بالامتثالِ للأمرِ الإلهي بتنْفيذِه، وإبرارِ قَسَمِه بما يُلائِمُ مقامَ النُّبوَّةِ من جهَةٍ، ومقامَ الوفاءِ لهذِه الزَّوْجَةِ المُتَفانيَةِ. ففرض الآمر عادةً هو أنْ يعلم أنّ المأمور هل يعزم على الفعل ويوطّن نفسَه على الانقياد والطاعة، أم لا؟[1] ولا شكّ فإنّ الأنبياء خيرُ من يمتثل لأمر اللّه تعالى. وجاءتِ الباءُ في قولِه تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾ لمعنى الاستِعانَةِ، فَهيَ دالَّةٌ على الأمرِ باستِعْمالِ الضِّغْثِ في الضَّربِ، دونَ غيرِه من أدواتِ الضَّربِ والعقابِ.

براعةُ حذفِ المفعولِ:

رعايةُ مشاعرِ القواريرِ لطفٌ ربانيٌّ وإرشادٌ رحمانيّ

آثر التّعبير القرآنيُّ إخفاءَ المضروبِ بالضغثِ وهي امرأةُ أيّوبَ ﷺ في قولِه تعالى: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ﴾، فلم يقل: (فاضربها به) فحذف المفعول به[2]، وذلك أنَّه لما لم يذكرِ النَّظم الكريمُ تفاصيلَ أمرِ الضَّربِ آثر أن يبقى الأمرُ على إجمالِه، وفي حذفِ المضروبِ وذكرِ أداةِ الضَّربِ دلالة على مزيدِ اللُّطْفِ بأيّوبَ ﷺ وبامرأتِه[3]، فلا يَسْتَعْمِلُ غيرَه حتَّى لا يكونَ فيهِ إيذاءٌ لَها، إذِ المرادُ تَحَقُّقُ إبرارِ القَسَمِ دونَ تَحَقُّقِ الأذى الناتجِ عن الضَّربِ المُعتادِ في مثلِ هذِه المواضِعِ، ففي فعلها هَشْهَشَةٌ وتحبُّبٌ لها.

بَلاغَةُ عَطْفِ النَّهْيِ علَى الأمْرِ:

النَّهْيُ توكيدٌ على التّشريفِ لا التّكليف

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡنَثۡۚ﴾ إمّا مُقْحَمَةٌ زيدَتْ للتّأكيد؛ بحيث تكونُ صيغةُ النَّهي في (لا تَحْنَثْ) جوابَ الطَّلب المتمثّل في فعل

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 5/ 573.
(2) بهجت، الإعراب المفصّل: 10/ 116.
(3) الهلال، تفسير القرآن الثريّ: 23/ 282.

الأمر (فاضْرِبْ) أراد - والله أعلم - فاضرب بِهِ لا تحنث[1]. وإمّا عاطفةٌ عَطَفَت النَّهْيَ (لا تَحْنَثْ) على الأمْر، (فاضْرِبْ) ليكون هذا النَّهيُ تأكيدًا على أنَّ هَذِه الصِّفَةَ كافيةٌ في تَحَقُّقِ الإبرارِ بالقَسَم، حتّى وإنْ جاءتْ على غيرِ المُعتادِ في عقوبةِ الضَّرْب؛ ففي النَّهي مزيدُ لُطْفٍ بأيّوبَ عليه السلام، وفضلُ شَفَقَةٍ بامرأتِه الوَفيَّةِ المُخْلِصَةِ.

دلالَةُ النَّهْيِ عَنِ الحِنْثِ:

الرُّخَصُ عطايا الإلـه لعبادِه فعليهم قبولُها والسُّرورُ بها

جاءَ قولُه تعالى: ﴿وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ بيَمينِكَ، فَإنَّ البِرَّ يَتَحَقَّقُ بِهِ، ولَقَدْ شَرَعَ اللَّه تعالى ذَلِكَ رَحْمَةً عَلَيْهِ وعَلَيْها، لِحُسْنِ خِدْمَتِها إيّاهُ، ورِضاهُ عَنْها، وهي رُخْصَةٌ باقيَةٌ في الحُدودِ في شَريعَتِنا، وفي غَيْرِها أيْضًا، لَكِنْ غَيْرُ الحُدودِ يُعْلَمُ مِنها بِالطَّريقِ الأوْلى[2].

بَلاغَةُ جُملةِ التَّعْليلِ:

الصَّبْرُ أصلٌ جامعٌ للرِّضا وجالبٌ للخلاصِ

جاءَ قولُ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ تعليلًا لما أسْبَغَ اللّهُ تعالى عليه من المِنَّةِ بالنَّجاةِ من مَسِّ الشَّيْطانِ ونُصْبِه وعذابِه الَّذي حَلَّ بِه، أي: لأنّا وجدناه صابرًا جازيناه بما كان، رحمةً من الله تعالى، والصَّبرُ من الأخلاقِ العزيزةِ في العبادِ، وقدْ كانَ أيّوبُ عليه السلام يَحْمَدُ اللّه عزّ وجلّ، ولا يُخِلُّ بِذَلِكَ شَكْواهُ إلى اللّه تعالى مِنَ الشَّيْطانِ، لِأنَّ الصَّبْرَ عَدَمُ الجَزَعِ، ولا جَزَعَ فيما ذَكَرَ كَتَمَنّي العافيَةِ، وطَلَبِ الشِّفاءِ، مَعَ أنَّهُ قالَ ذَلِكَ عَلى ما قيلَ خيفَةَ الفِتْنَةِ في الدّينِ[3].

نُكْتَةُ اسْتِعْمالِ فِعْلِ ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾ دونَ الإخْبارِ عَنْ كَوْنِهِ صابِرًا:

ظُهورُ صَبْرِ أيّوب في عـلـمِ الـلـهِ تـعـالى ظُـهـورًا بالغًا دونَ مُجَرَّدِ الوَصْفِ بالصَّبْرِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الحكيمُ عنْ الإخبارِ عن صبرِ أيّوب بذكرِ فِعْلِ الوِجْدانَ، فقالَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾، وعَدَلَ عن غيرِه من التّعبيرات فَلَمْ يَقُلْ: (إنَّهُ صابِرٌ)، أوْ: (إنَّهُ كانَ مِنَ الصّابِرينَ)، وذَلِكَ لِظُهورِ شِدَّةِ جَلَدِه وإيمانِه برَبّه، إذ إنَّ "مَعْنى ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾ أنَّهُ ظَهَرَ في صَبْرِهِ

(1) الصاحبي، في فقه اللّغة العربيّة: 80.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 199.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 199.

ما كانَ في عِلْمِ اللهِ مِنهُ"[1]، وقد عَبَّرَ النّظْمُ بنونِ العَظَمَةِ فقالَ: ﴿إِنَّا﴾؛ أيْ: عَلى ما لَنا مِنَ العَظَمَةِ؛ وعَبَّرَ بالفعْلِ ﴿وَجَدْنَٰهُ﴾؛ أيْ: وجَدْناهُ في عالَمِ الشَّهادَةِ؛ طِبْقَ ما كانَ لَنا في عالَمِ الغَيْبِ؛ ليَتَجَدَّدَ لِلنّاسِ مِنَ العِلْمِ بِذَلِكَ ما كُنّا بِهِ عالِمِينَ[2].

تَوْجيهُ تَخْصيصِ الصَّبْرِ بِالذِّكْرِ:

جاءَ خِتامُ التعليلِ في قولِه تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ بِذِكْرِ الصَّبْرِ؛ لأنَّ الصَّبْرَ على الابتلاءِ أعْلَى مقاماتِ العُبوديَّةِ، وهوَ أخَصُّ مقاماتِ الأنبياءِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم، ولَمّا كانَ السّياقُ لِلْحَثِّ عَلى مُطْلَقِ الصَّبْرِ في قَوْلِهِ: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ص:17]، أتَى بِاسْمِ الفاعِلِ مُجَرَّدًا عَنْ مُبالَغَةٍ؛ فَقالَ: ﴿صَابِرًا﴾[3]، للدّلالَةِ على أهَمِّيَّةِ التَّأسّي بسيَرِ الأنبياءِ، وفي مُقَدِّمَتِهم أيّوبُ عليه السلام، حَتَّى ضُرِبَ بِهِ المَثَلُ في الصَّبْرِ.

الصَّبْرُ على الابتلاءِ أعْلَى مقاماتِ العُبوديَّةِ، وهوَ أخَصُّ مقاماتِ الأنبياءِ

مُناسَبَةُ جُمْلَةِ المَدْحِ:

عَقِبَ ذِكْرِ التَّعْليلِ بَصَبْرِ أيّوبَ، خَتَمَ النَّظْمُ الحكيمُ الآيَةَ بِجُمْلَةِ مَديحٍ على حُسْنِ بَلاءِ أيّوبَ عليه السلام، فقالَ: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾، فَعَلَّلَ بِهذا الخِتامُ مُؤَكِّدًا؛ لِئَلّا يُظَنَّ أنَّ بَلاءَهُ قادِحٌ في ذَلِكَ، وذَلِكَ مِصْداقًا لقولِ النَّبيِّ ﷺ: (إنَّ مِنْ أشَدِّ النّاسِ بَلاءً الأنْبياءَ ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُمْ ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُمْ ثُمَّ الَّذينَ يَلونَهُمْ)[4]، وفي جُملةِ التّعليلِ إيماءٌ إلى سرِّ صبرِه على البلاءِ، وهو أنَّه أوّابٌ توّابٌ.

سِرُّ صبرِ أيّوبَ أنَّه أوّابٌ توّابٌ

بَلاغَةُ التَّعْليلِ بصفةِ الأوّابِ:

جاءتْ جُمْلَةُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ تَعْليلٌ لِلثَّناءِ عَلَيْهِ بِـ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ﴾، إذِ الأوّابُ هوَ الرَّجّاعُ بِكُلِّيَّتِهِ إلى اللهِ تعالى عَلى خِلافِ ما يَدْعو إلَيْهِ

حُسْنُ الأوْبَةِ مُسْتَحِقٌّ للثّناءِ مُسْتَجْلِبٌ لداعي الرَّجاءِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 275.
(2) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 394.
(3) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 394.
(4) أخرجه أحمد في مسنده، مسند النّساء، حديث رقم: (27721).

طَبْعُ البَشَرِ؛ فَهو واقِفٌ مَعَ اللّهِ بِحُسْنِ الأدَبِ؛ لا يُغَيِّرُهُ دَوامُ النِّعْمَةِ؛ ولا يُزْعِجُهُ تَواتُرُ البَلاءِ والمِحْنَةِ[1]، وقدْ جاءتْ (إنَّ) مُغْنِيَةً عَنْ فاءِ التَّفْريعِ[2]، فأفادَتْ معْنَى التعليلِ، بَرَبْطِ مَقامِ العُبوديَّةِ بحسنِ الأوْبَةِ إلى اللّهِ تباركت آلاؤه.

بَلاغَةُ اخْتيارِ مُفْرَدَةِ ﴿أَوَّابٌ﴾:

كثافةُ المعاني الشَّريفَةِ في لفظِ الأوّابِ

في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ آثَرَ النَّظْمُ الحكيمُ التعبيرَ بلَفْظِ الأوبَةِ دونَ غيرِها من الألفاظِ الدّالَّةِ على صدقِ التَّوْبَةِ والرُّجوعِ إلى اللّهِ تعالى؛ وذلك لأنَّ الأوّابَ مُبالَغَةٌ في الآيبِ، أيْ: كَثيرِ الأوْبِ، أي الرُّجوعِ إلى اللّه بقَرينَةِ أنَّهُ مادِحُهُ، والمُرادُ مِنَ الأوْبِ إلى اللّهِ: الأوْبُ إلى أمْرِهِ ونَهْيِه، أيْ: إذا حَصَلَ لَهُ ما يُبْعِدُهُ عَنْ ذَلكَ تَذَكَّرَ فَآبَ، أيْ فَتابَ[3]، فدلَّ لفظُ ﴿أَوَّابٌ﴾ على أنَّ أيّوب عليه السلام كثيرُ الرُّجوعِ إلى اللّه تعالى، طلبًا للرّحمةِ والأجرِ والطّمع في الثّواب، وطلبِ الاستغفارِ، ولعمومِ دلالةِ اللَّفظِ على هذا المعاني اختير دون غيرِه.

(1) البِقاعِيّ، نَظْمُ الدُّرَر: 16/ 394.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 275.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 23/ 254.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»